مجلة المرائد

العدد : ٢٠٨ الموافق في ذو الحجة ١٤١٩ هجري ٤ / ١٩٩٩ ميلادي

انفتاح المؤسسات الإسلامية على المجتمع الأوروبي : في حوار شامل مع د. نديم عطا إلياس	بقلم : التحرير

يعد الدكتور نديم عطا إلياس - رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا وعضو اللجنة التنفيذية لمجلس التعاون الإسلامي في أوروبا - من ألمع الشخصيات الإسلامية الناهضة بواجب التعريف بالإسلام والحوار مع قوى المجتمع الأوروبي بقصد التوصل إلى بلورة دستورية واجتماعية لحقوق المسلمين في أوروبا.

ومن قلب الممارسة تكرم الدكتور نديم فأجاب على أسئلتنا ، وكانت إجاباته صريحة وعميقة .. وهي جديرة بالتأمل .

س١ : مرت ألمانيا في الأيام الأخيرة بتغيرات سياسية كبيرة ، سيكون لها انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية . فما انعكاسات هذه التغيرات على الواقع الإسلامي ، وما هو دور المسلمين الاجتماعي والسياسي في ضوءها ؟

جـ١ : إن تغيير الحكومة الائتلافية السابقة بعد حكم دام ست عشرة سنة إنما أتى نتيجة تراكمات سنوات طويلة ، فلقد ازداد ميل الحكومة من الوسط إلى يمين الوسط ثم إلى وسط اليمين بل وإلى اليمين المتطرف في بعض الأحيان . فإذا نظرنا إلى الموقف السابق من قضية الأجانب والأقليات نجد موقفاً متعصباً يتناقض مع روح الأوروبية والعولمة التي أصبحت شعار العصر . وإذا نظرنا إلى الاقتصاد نجد تجنحاً شديداً لصالح الشركات العملاقة وشريحة رأس المال على حساب مكتسبات الحكومات السابقة لصالح الطبقة الوسطى . ولم تدعُ مؤشرات الرفض الشعبي الحكومة السابقة إلى تصحيح المسار بل إلى محاولة كسب أصوات أكبر من الجناح اليميني المتطرف ، وذلك بتبني أطروحاتهم ، مما زاد الحكومة تطرفاً .

وتوجه الحكومة الجديدة والذي يشكل انفراجاً في قضية التجنس ودمج الأقليات يمس المسلمين بشكل مباشر فهم يشكلون حوالي ٤٠% من الأجانب ، وهم أحرص الفئات الأجنبية على التجنس . وسوف يكون للمسلمين دور أكثر فعالية على المستوى المؤسسي في المشاركة بمناقشة مشاريع القوانين والمشاركة في اللجان السياسية والمؤتمرات والمجالس المختلفة . أما مردود ذلك فهو راجع لمقدرة

المسلمين ومؤسساتهم على ملء هذا الفراغ وإثبات الجدارة والكفاءة .

س٢ : وأين موقع المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا من هذا ؟

جـ٢ : لقد اكتسب المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا خلال السنوات الماضية خبرة في التعامل السياسي وذلك من خلال مشاركته في عدد من المجالس الاتحادية والدينية ، وقد وصل عدد ممن توثقت صلتنا بهم من خلال العمل الايجابي السابق إلى مناصب ومسؤوليات بعد التغيير الحكومي . فسيسعى المجلس الأعلى إلى تطوير هذه العلاقات والاستفادة من جو الثقة والمعرفة والصداقة المتوفر للإدلاء بمطالبه وأطروحاته واقتراحاته ، كما سيسعى المجلس إلى المحافظة على التوازن بمتابعة الصلة بالأحزاب المعارضة والسياسيين الذين نحوا عن الحكم .

وربما كان من أولويات عملنا حالياً دفع القاعدة الإسلامية إلى مزيد من الانفتاح ، والزج بها إلى الساحة العامة المشتركة وتفعيلها في المجال الاجتماعي الذي يتجاوز حدود المؤسسات الإسلامية وحاجاتها وينطلق إلى المجتمع بشكل عام . فيخطط المجلس الأعلى حالياً حملة متعددة الجوانب والقطاعات لدفع المسلمين إلى المشاركة في مشروع (أجندة ٢١) ، وهو مطلب عالمي متعلق بترشيد الشعوب من أجل حماية الثروات الطبيعية والطاقة والبيئة . ويشمل مشروعنا تأهيل الأئمة والدعاة لتوعية المسلمين بهذا الاتجاه وعمل دورات تخصصية للتعريف بالبدائل الإسلامية ، وطبع وتوزيع مطويات ، وتوجيه الأشخاص المناسبين للمشاركة في المبادرات الشعبية القائمة في كل مدينة ومقاطعة . ونتعاون في هذا المشروع مع مع مكتب رئاسة الوزراء في مقاطعة نورد راين / وستفاليا .

وبدأ المجلس الأعلى في الخطوة الأولى لتنفيذ فكرة المفوضيات المتخصصة . فعين اعتباراً من مطلع هذا العام ولأول مرة في أوروبا مفوضة لشؤون المرأة المسلمة في ألمانيا . وهي الأخت الألمانية " ألريكه توينيس " . وهذا يعتبر تحولاً من موقع الدفاع عن الإسلام بروح المتهم أو المذنب ، إلى موقع المتقدم بمطالبه والطارح للحلول لمشاكل الآخرين . ودور المفوضة هو الاتصال بالهيئات الحكومية والمؤسسات الإعلامية والتربوية للتعبير عن مطالب المسلمين ، وتزويد الإعلام بالمواد والمعلومات والأسماء المناسبة فيما يتعلق بقضية المرأة ، وإرشاد المساجد والجمعيات والوصول معها إلى حلول لمشاكل المرأة المسلمة في نطاق الجالية . وهي تعمل بشكل ذاتي مستقل ضمن قواعد وأسس محددة . وسيسعى المجلس إلى تحديد مفوضين ومفوضات آخرين على غرار ذلك ليكونوا حلقة وصل بالمجتمع .

س٣ : كان المحور البارز في نشاط المجلس الأعلى في سنواته الأولى هو حوار الأديان واللقاء مع المؤسسات الدينية ، فهل تغير هذا المنحى ؟

جـ٣ : على العكس تماماً .. فنحن نلتقي مع الطوائف الأخرى والمؤسسات الدينية من منطلق مبدئي ، وهو التكليف الشرعي بالحوار والجدال بالتي هي أحسن والسعي للإصلاح والتعاون مع كل محب للخير والصلاح . ولكن بروز الجوانب الجديدة في نشاط المجلس الأعلى في الوقت الأخير - في المجال الاجتماعي والسياسي - لم يكن على حساب المحور المذكور ، بل هو محور أو محاور جديدة كان لا بد من الاهتمام بها ، وقد مكّن الله عز وجل من توفير الطاقات البشرية والكفاءات لها .

ولا نزال نشارك في المجالس الدينية المختلفة ونأخذ زمام المبادرة في عدد من النشاطات المنبثقة منها. وآخر مشروع في هذا المجال هو فعاليات (**أدع جارك**) وهو مشروع على المستوى الاتحادي هدفه فتح القنوات بين أفراد المجتمع وشرائحه ، وكسر حواجز الخوف من الغريب والأحكام المسبقة . ويدعو المشروع إلى تبادل الزيارات والبدء بالجار الأقرب فالأقرب ، ويدعم ذلك بمطويات ونشرات وحملات إعلامية . وقد قمنا بتغطية الجانب الإسلامي بكتابة مقالات ضمن ذلك للتعريف بموقف الإسلام من الضيف والجار والرحم والتعريف بمناسبات المسلمين وأعيادهم ، والمطالبة باحترامها وتقديرها .

وقمنا مؤخراً بالمشاركة في تأسيس (المائدة المستديرة للأديان) وهي تجمع كبار الممثلين للطوائف الدينية في ألمانيا . وستكون عملاً مؤسسياً دائماً وليس نشاطاً عابراً ، وهذا لم يسبق له مثيل في ألمانيا من قبل . وكان من أول أعمال (المائدة المستديرة) إصدار (خطاب الأديان لأبناء الأديان) للتأكيد على الأسس والمبادئ الجامعة ، وسنقوم بوضع جدول أعمال وأولويات لتحقيق نتائج عملية يعود خيرها على الجالية قريباً بإذن الله .

س٤ : هل يعتبر لقاؤكم برئيس مجلس اليهود الأعلى في ألمانيا (إقناتز بوبس) مجالاً جديداً ضمن هذا المحور وما هي قواعد هذا اللقاء بالطائفة اليهودية وما هي ضوابطه ؟

جـ٤ : الحوار مع الطائفة اليهودية لم يبدأ بندوة الحوار التي عقدت في همبورج تحت رعاية معهد الشرق الأوسط والمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ومجلس اليهود الأعلى في ألمانيا ، والتي تناقلتها وكالات الأنباء ومحطات التلفزيون الرئيسية . فمشاركتنا في المجالس الدينية السابق ذكرها تجمعنا منذ فترة طويلة بممثلي جميع الطوائف ، ومنهم ممثلوا الطائفة اليهودية . ولعدد كبير من الدعاة الإسلاميين

والمحاضرين مشاركات قديمة في ندوات حوار ومناظرات علمية سابقة . وهناك مشاريع وفعاليات عديدة انبثقت من المجالس الشعبية والدينية المشتركة شارك فيها المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بالإضافة إلى ممثلي كثير من الطوائف ، ومنهم في بعض الأحيان ممثلو مجلس اليهود الأعلى في ألمانيا .

أما المنطلق الشرعي في ذلك فهو ما ذكرنا من مشروعية التعامل مع أهل الكتاب ومحاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، بل ومعاشرتهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم ، كما فصل في ذلك الشرع الحنيف . ويستوي في ذلك اليهود والنصارى . وقد وضع الشرع قواعد التعامل مع غير هاتين الطائفتين .. وهي بإجمال المعاملة بالعدل والإحسان ، وإقرار الحقوق وصون الأموال والأرواح والأعراض ، وكفل الحريات والكرامة البشرية لكل إنسان . ولا يعني هذا بطبيعة الحال التنازل عن حقوق المسلمين ، أو المساومة على مبادئهم أو التخلي عن هويتهم . كما لا يعني ذلك إعطاء الدنية أو الرضوخ لجبروت متجبر أو ظلم طاغ . فيرد الظلم من أي إنسان مسلماً كان أو يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك . ولا يعامل بالإحسان من اعتدى وأثم ، لقول الله تعالى { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون } [العنكبوت : ٤٦] . كما لا يؤخذ أحد بجريرة أحد ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . وإنما تتخذ المواقف من الأشخاص بناء على أعمالهم ، أو بناء على تأييدهم وإقرارهم لظلم غيرهم .

أما قواعد تعاملنا مع الطائفة اليهودية وغيرها من الطوائف وشرائح المجتمع ، فهي أننا مع اهتمامنا بكل ما يجري في العالم الإسلامي وما يصيب الأمة الإسلامية ، إلا أن ساحة عملنا وصلب مهمتنا إنما هو ألمانيا وما يرتبط بشؤون المسلمين في ألمانيا أو المجتمع الألماني . ونقصر علاقاتنا وصلاتنا بالدول الخارجية وممثليها في ألمانيا باللقاء بممثلي دول العالم الإسلامي فيما يتعلق بقضايا الجالية المسلمة في ألمانيا . ونقصر حوارنا مع الطوائف الدينية بممثليها في ألمانيا وما يتعلق بالشؤون المشتركة في ألمانيا . ونرفض كل ما يتجاوز ذلك .

كما نلتزم بقاعدة الوضوح والشفافية ، فأعمالنا تدور على السطع وضمن حدود الشرع وضوابط القانون وقرارات أجهزة المجلس الأعلى ، ونسعد بكل رأي ونقد وتوجيه لتصويب مسار كل توجه من توجهاتنا .

ولا شك أن العلاقة اليوم بين الإسلام واليهودية ، والمسلمين واليهود في أي مكان في العالم لا تنفك

عن قضية الإسلام والمسلمين في فلسطينن . وهذه ليست هي المواجهة الوحيدة بين الإسلام والأديان الأخرى ومن ينتمي إليها ، فللإسلام تاريخه مع الحروب الصليبية والاستعمار والتنصير والعلمنة . إلا أن كل ذلك يجب أن يوضع في إطاره المناسب ولا ينبغي أن يدفعنا إلى تجاهل المنطلقات الشرعية الأساسية التي تقدم ذكرها .

ونحن نؤكد على حقوق المسلمين في ألمانيا وغير ألمانيا ضمن كل لقاء نقوم به مع النصارى واليهود وسواهم ، ونلفت النظر إلى حق الشعب الفلسطيني وإلى انتهاك حقوقه وتشريده ، ونندد بذلك بكل وضوح في مؤتمراتنا وندواتنا ومناظراتنا العامة والخاصة ، ولا نداهن ولا نساوم ولا نمالق .

ونحن نعلم أن الطرف الآخر له نظرته المعاكسة تجاه بعض هذه القضايا ، وله ميوله وتعاطفه مع قضاياه كما لنا ميولنا وتعاطفنا مع قضايانا . ونعلم أن حوارنا معه لن يغير موقفه ذلك - وليس هذا هو هدف حوارنا - كما أن حوارنا معه لن يغير أسسنا ومبادئنا الراسخة تجاه قضايانا .

س٥ : قد يرى البعض في ذلك تخلياً عن قضايا العالم الإسلامي والأمة الإسلامية !

جـ٥: بل هو القيام بأمر الإسلام وقضايا المسلمين على المستوى الغربي . إن المسلمين في الغرب إنما هم جزء إسلامي من واقع أوروبي . وهم ليسوا حكومات ظل أو تجمعات في المنفى . وعلى الجاليات المسلمة في الغرب أن تدرك هذا الواقع وأن تنطلق من واجبها المحلي حيثما كانت ، وأن تتعامل مع جميع شرائح هذه المجتمعات للانتصار لقضية الإسلام في الغرب ضمن قواعد التعامل المتعارف عليها والقوانين المعمول بها ، وضمن حدود الشرع ومبادئ الإسلام . فإذا قامت الجالية المسلمة بهذا الدور الحضاري فهو أكبر خدمة لقضية الإسلام وأكبر خير لهذا المجتمع .

س٦: الاقتراب من عام ٢٠٠٠ وموعد الإكسبو الذي سيعقد في هانوفر والذي سيشارك فيه المجلس الأعلى يطرح سؤالاً حول إمكانية تمويل هذا المشروع بشكل خاص ، وتمويل المجلس الأعلى بشكل عام .

جـ٦ : نحمد الله تعالى الذي شرفنا بخدمة الدعوة اليه وفتح لنا فرص التعريف بدينه في هذا الوسط ، ولا شك أن المعرض الدولي إكسبو التابع للأمم المتحدة وجناح الإسلام الذي أخذ مسؤوليته المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا هو من أهم مشاريعنا وهو أكبرها وأكثرها عبئاً وتكلفة وتحدياً . وعرض المنظور الإسلامي لموضوع (الإنسان - الطبيعة - التقنية) من خلال تاريخ الإسلام وواقعه ومن خلال تطلعاته المستقبلية لما بعد الألفين ، في مساحة ١٢٠٠ متر مربع ضمن خضم أجنحة الدول والمؤسسات

العالمية يجب أن يكون على المستوى اللائق بالإسلام والمشرف للمسلمين ، ويجب أن يكون على مستوى مقنع ومؤثر وشيق في نفس الوقت لحوالي أربعين مليون زائر يتوقع مشاركتهم في هذا المعرض الذي يستمر خمسة شهور متواصلة .

وقد أبرم المجلس الأعلى للمسلمين اتفاقيات تعاون مع مؤسسات متخصصة في العالم الإسلامي ، سنقوم بالتعاون معها على تأمين التمويل اللازم لهذا المشروع بإذن الله . كما كلف المجلس الأعلى مكاتب متخصصة في العلاقات العامة والاعلام ومجموعات من الخبراء المتخصصين ولجان العمل الفرعية للقيام بهذه المهمة التاريخية .

إذاً...إن هذه هي المرة الأولى التي سيسمح فيها في معرض الإكسبو الدولي منذ تأسيسه بمشاركة الأديان في أجنحة مستقلة ، فسمح بالتحديد للكنيستين الألمانيتين (الكاثوليكية والبروتستانتية) وللمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بصفته معبراً عن الإسلام .

ومعظم مشاريع المجلس الأعلى يتم تمويلها من خلال العاملين المتطوعين فيها ومن خلال الاشتراكات الزهيدة التي يساهم بها اعضاء المجلس الأعلى . ولا يكاد الإنسان يصدق أن مشروع المجلس الأعلى في الإنترنت **Islam Online** على سبيل المثال والذي وصل عدد المستفيدين منه في شهر يناير الماضي إلى أكثر من مائة ألف مستفيد (في شهر واحد فقط) يقوم دون تمويل أو دعم رسمي خارجي أو داخلي .

نسأل الله عز وجل أن يجزي عشرات العاملين والعاملات في هذا المشروع وسواه خير الجزاء على جهدهم وخبرتهم وعطائهم .

ويعد المجلس الأعلى حالياً مخططات لايجاد موارد مالية دائمة تضمن للعمل الاستمرار والتقدم بإذن الله .